يُظهر التنوع الفني والتاريخي بنقوشه وتصاميمه المعمارية الفريدة

الجامع الكبير.. أحد أقدم المساجد الإسلامية في اليمن

الجامع الكبير هو جامع بني في عهد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة أو التاسعة للهجرة ، ثم أمر بتوسعته الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك والولاة من بعده.
وتوجد فيه مكتبة عامة تعد من أكبر المكتبات في العالم العربي، ويقال إن هذا الجامع بني على أنقاض قصر غمدان الشهير في صنعاء.

ويعتبر الجامع الكبير بصنعاء من أقدم المساجد الإسلامية، وهو أول مسجد بني في اليمن، ويعتبر من المساجد العتيقة التي بنيت في عهدالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث أجمعت المصادر التاريخية على أنه بني في السنة السادسة للهجرة ، حين بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي الجليل و بر بن يحنس الأنصاري والياً على صنعاء ، وأمره ببناء المسجد فبناه ما بين الصخرة المملمة وقصر غمدان ، وكان أول بنائه بسيطاً وصغيراً جداً يتماشى مع عمارة المساجد الأولى ، فكان مربع الشكل طول ضلعه متراً ، له باب واحد من الناحية الجنوبية وبه (12) عموداً أشهرها المنقورة وهو العمود السادس من ناحية الجوار الشرقي الحالي ، والمسمورة ، وهو العمود التاسع من ناحية الجوار الشرقي – أيضاً – ومقسم من الداخل إلى ثلاثة

أروقة ، وكان يوجد بالرواق الشمالي المحراب الأصلي ، فقد تعرض الجامع خلال العصور الإسلامية المتتابعة إلى تجديدات وتوسيعات عديدة ، وكان من أوائل هذه التوسيعات قام بها الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (86 – 96هـ) – (705 – 715م) في ولاية أيوب بن يحيى الثقفي ، شمل التوسع في الإتجاه الشمالي من ناحية القبلة الأولى إلى موضع القبلة الحالية ، وفي فترة أول والي لبني العباس في صنعاء الأمير عمر بن عبدالمجيد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب ، نقلت أحجار أبواب الجامع من قصر غمدان ومنها المدخل الذي يقع على يمين المحراب وبه صفائح من الفولاذ متقنة الصنع من ضمنها لوحان مكتوبان بخط المسند.

توسيع المسجد

وفي عام 136هـ – 754م أجري توسيع على يد الأمير علي بن الربيع بأمر من الخليفة المهدي العباسي ، وفقاً للوحة المكتوبة في صحن المسجد. وفي عام 265هـ أجري على يد الأمير محمد بن يعفر الحميري توسيع كان من ضمنه السقوف الخشبية المصنوعة من خشب الساج ، خاصة في عمارة الرواق الشرقي والذي يتكون من مصندقات خشبية غاية في الدقة والإبداع ، إلاّ أن بعض المؤرخين اليمنيين ينسبون عمارة الرواق الشرقي في الجامع إلى الملكة أروى بنت أحمد الصليحي في عام 525هـ – (1130 – 1131م) ويعود تجديد المأذنتين الحاليتين إلى عام 603هـ – 1206م ، حيث قام بتجددهما ورد بن سامي بعد أن تهدمت وسقطت. وفي عام 1012هـ قام الوالي العثماني سنان باشا ببناء الصرح المعروف اليوم بالشماسي برصفه بالحجار .. كما بنى القبة الكائنة في الفناء ، وقام الحاج محمد بن علي صبرة بإصلاح المنارة الشرقية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري. وفي عام 1355هـ – 1936م بنى الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين المكتبة التي تقع غرب المنارة الشرقية ، وكذلك السقف الأوسط في الجناحين. كما حفر البئر الغربية للجامع وأصلح سواقيها إلى المطاهير ، وقد وسعت المكتبة في عهد الإمام أحمد بن يحيى بن حميد الدين في عام 1374هـ.

والجامع بأبعاده الحالية ينطبق تقريباً على شكل الجامع الذي أمر بإنشائه الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك سنة (86 – 96هـ) – (705 – 715). فالجامع مستطيل الشكل ، تبلغ مساحته حوالي (68 – 65) بنيت جدرانه الخارجية بحجر الحبش الأسود والشرفات العليا بالطابوق والجص ، ويحتوي على (12) باباً ثلاثة في جدار القبلة منها باب يعود تاريخه إلى فترة التاريخ القديم ، نقل من أبواب قصر غمدان وهو على يمين المحراب ، وفي الجدار الجنوبي مدخل واحد يعرف بالباب العدني تتقدمه قبة صغيرة ، وفي الجدار الشرقي خمسة مداخل، وفي الجدار الغربي ثلاثة مداخل يتوسط مساحة الجامع فناء مكشوف مساحته حوالي (38.90 – 38.20) متر تتوسطه كتلة معمارية مربعة الشكل طوال ضلعه ستة مترات ، تغطيها قبة محفوظة فيها وقفيات الجامع ومصاحفه ومخطوطاته يحيط بصحن الجامع أربعة أروقة ، الرواق القبلي (61 × 18.50) متر عمقاً ، والرواق الجنوبي (60.40 – 15.10) متر ، والرواق الغربي (39.75 – 11) متراً ، ويوجد ضريح في الناحية الجنوبية من الرواق الغربي يطلق عليه ضريح حنظلة بن صفوان .

ويبلغ عدد الأعمدة في الجامع (183) عموداً ، منها (60) عموداً قبلية ، و (30) عموداً غربية، و (54) عموداً في المؤخرة ، و (39) عموداً شرقية. ويعود تاريخ هذه الأعمدة إلى القرن الرابع حتى القرن السادس الميلادي. أما السقوف المصندقة ذات الزركشات الفنية المرسومة بطريقة الحفر الملونة فهي فريدة في العالم الإسلامي ويحدد تاريخ السقف المصندق للرواق الشرقي بالقرن الثالث الهجري استناداً إلى طرازه ، بينما يعود تاريخ سقوف الرواق الغربي وبعض أجزائه إلى العصر الأموي أو إلى أوائل العصر العباسي ، وللجامع مئذنتان ، في الناحية الجنوبية واحدة ، والثانية في الناحية الغربية منه. وتعتبر من أقدم المآذن الباقية باليمن ، فالمئذنة الشرقية جددت بداية القرن السابع الهجري ، وأعيد تجديدها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وتتكون هذه المئذنة من قاعدة حجرية مربعة الشكل بها مدخلان أحدهما في الناحية الشمالية والآخر في الناحية الشرقية يقوم عليها بدن مستدير تعلوه شرفة مزدانة بصوف في المقرنصات ويعلو البدن بدن آخر سداسي الشكل بكل ضلع فتحة نافذة معقودة ، ويتوج هذا البدن بقبة صغيرة وقد وصفها الرازي بأنها لم يعمل مثلها إلاّ في دمشق أو في منارة الأسكندرية. أما المئذنة الغربية فهي تشبه المئذنة الشرقية إلى حد كبير مبنية على قاعدة مربعة (4.25) متر ، يبلغ ارتفاع هذه القاعدة حوالي خمسة مترات ، ويوجد غرب المنارة الغربية مكتبة مملوءة بذخائر التراث العلمي والثقافي اليمني في كافة المجالات ، وفيها المخطوطات النادرة ومنها نسخ من القرآن الكريم الذي نسخ في عهد الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – كما يوجد قبران في فناء الجامع تحت المنارة الشرقية.

وبحسب روايات تاريخية فقد عُرفت تسميته في الكتب القديمة بجامع صنعاء أو مسجد صنعاء، واشتهر بهذا الاسم عند غير اليمنيين، في حين كان يطلق عليه أهالي صنعاء اسم «الجامع المقدّس»، ولمّا كثرت المساجد إلى جانب عمليات التوسعة التي شهدها سُمي بالجامع الكبير ليتميز عن بقية مساجد صنعاء.

ومرّ بناء المسجد بشكله الراهن ومساحته البالغة 6607 أمتار مربعة بعدد من المراحل التاريخية؛ "فكانت عمارته في البداية بأربع دعائم تمثل مؤخرة المسجد حالياً، ثم أكمل عمارته الحسين بن سلام، وهو مولى من موالي بني زيد ملوك زبيد، من خلال الجناح الشرقي والجناح الغربي، في عهد محمد بن يعفر الحميري وولده عبد الرحمن، في حين بنيت مقدمته الحالية في عهد الوليد بن عبد الملك، أمّا الصرح والقبة فتم إنشاؤهما في عهد الوالي العثماني سنان باشا».

ويظهر التنوع الفني والتاريخي للمسجد من خلال النقوش والتصاميم المعمارية الفريدة، التي تؤكد تغير العصور وتداول الدول وتعاقب الأئمة والملوك، كما أنه يحتوي على أحجار حميرية جعلته رمزاً إسلامياً ومعلماً تاريخياً وحضارياً لليمن والعالم الإسلامي.

«الفريكة».. طبق شعبي يُزيّن مائدة رمضان في «غزة»

منذ نعومة أظفارها، اعتادت الفلسطينية فاطمة قديح (75 عاماً)، حصد سنابل القمح المائلة حبّاتها للون الأخضر، داخل أرضها الزراعية، الواقعة قرب الحدود الشرقية لمدينة خانيونس، جنوبي قطاع غزة، لتنتج في وقت لاحق حبوب "الفريكة" (الجريشة)، والتي تعد من الأطباق الفلسطينية التقليدية في شهر رمضان.

ففي فصل الربيع، أي منتصف شهر أبريل من كل عام، تبدأ المزارعة قديح بجمع سنابل القمح تلك بعناية فائقة.

وعلى ألسنة اللهب، التي أشعلتها قديح مستخدمة الحطب في أرضها الزراعية، تبدأ بشيّ سنابل القمح حتّى يتغيّر لون حباتها ويصبح داكنا، لتتركها لاحقا لساعات تحت أشعة الشمس كي تجفّ.

وتقول قديح لوكالة "الأناضول"، إنها ورثت صناعة الفريكة، عن والديْها، وكانت في وقت سابق مصدر رزق لها، كونها من أحد المهن التراثية. وتضيف إن الفريكة، "كانت وما زالت غذاءً رمضانيا أساسيا بالنسبة لعائلتها".

وأوضحت أن صناعة الفريكة كانت تشكّل مصدرا للدخل، قبل سنوات قليلة، حينما كانت عائلتها صغيرة.

وتستكمل قائلة "آنذاك كان ما يتم إنتاجه من الفريكة يكفي لعائلتي، والفائض أبيعه للناس، لكن اليوم كبرت العائلة، وباتت تضمّ الأولاد والأحفاد، وبالكاد يسدّ ما يتم إنتاجه، احتياجات العائلة لما بعد رمضان".

وتلفت إلى أن "الفريكة"، المصنوعة يدويا، وبالطرق التقليدية، تحتفظ بنكهتها اللذيذة والتي تفتقدها الجاهزة والمصنّعة.

ويعد إنتاج الفريكة، واحدة من المهن الشعبية الفلسطينية التقليدية، ومن أبرز الأطباق اليومية على موائد الإفطار في شهر رمضان.

فتاة يمنية فتح لها حفظ القرآن الكريم آفاق الحياة

خطت فاطمة عبدالله الأغبري – ذات الـ26 ربيعاً – لنفسها خطاً مختلفاً، وهي تقدم اسمها كأول فتاة يمنية تجمع بين حفظ وتلاوة القرآن الكريم، والعمل الإذاعي.

وجمعت الأغبري خلال مسيرتها بين قوة الأداء والصوت الجميل المطلوبين في كل من تلاوة القرآن، أو التقديم الإذاعي، وطوعت مهاراتها في قالب خاص بها.

وحفظت فاطمة القرآن كاملاً وأبدعت في تلاوته منذ سن مبكرة، وأمسكت بتلابيب العمل الإذاعي وتفوقت فيه.

تقول في حديثها للأناضول: "نشأت وترعرعت وسط أسرة محافظة أفرادها 7 أشخاص، أب وأم وثلاثة أولاد وابنتان، وجميعنا ختم القرآن الكريم حفظًا وتلاوًة".

وتضيف: "كان لوالدتي الدور الأكبر في تعليمي القرآن وحفظه منذ كان عمري 5 سنوات".

وتتابع: "كانت تأخذني معها يومياً إلى مدرسة تعليم وتحفيظ القرآن باعتبارها تعمل معلمة فيها، فتشكل عندي هاجس الحفظ والتلاوة مبكراً".

وتمضي قائلة: "كنت شغوفة جدًا لمشاهدة والدتي، وهي تدرّس الطالبات في المدرسة رغم بعد المسافة التي تفصل المدرسة عن منزلنا الكائن في حي الشماسي بمدينة تعز".

وتوضح فاطمة أنها اتخذت أيضاً من تشجيع والدها وإخوتها حافزاً لمواصلة تعلم القرآن، حتى وفقها الله إلى حفظه كاملًا عند بلوغها 16 عاماً.

طقوس خاصة

وتتحدث الأغبري عن برنامجها اليومي خلال شهر رمضان قائلة: "عادة قراءة القرآن في رمضان فيها خير عظيم وفائدة كبيرة، كما أن تلاوته أو الاستماع إليه تمنح القلوب هدوءً والنفس سكينة، لذلك أحرص على قراءته بشكل أكبر خلال الشهر الفضيل".

وتضيف: "حتى وأنا منهمكة في أعمال المنزل ومساعدة والدتي، أجد نفسي أتمتم بالآيات وأقضي لحظات انسجام وطمأنينة لا يشعر بها إلا من وفقه الله لحفظ كتابه وحسن تلاوته".

البروز اللافت

حفظها للقرآن وإتقانها للقراءة والتجويد وإجادتها للغة العربية، دفع بالأغبري إلى تصدر المهرجانات والفعاليات التي تقام في مدرستها "الثورة".

وتتابع حديثها قائلة: "كان يسند إلي أستاذي في المرحلة الابتدائية مهمة قراءة القرآن في الطابور الصباحي بمدرستي، ساعدني على ذلك حفظي للقرآن وتلاوته بصوت متفرد وجميل بحسب شهادة اساتذتي وزميلاتي".

وتضيف: "مما دفعني لأن أكون ممثلة لمدرستي ومن ثم جامعتي في مختلف مسابقات حفظ القرآن وتلاوته، على مستوى محافظة تعز والجمهورية، وفي كل مرة كنت أحقق المركز الأول". وتردف: "تفوقي في هذا الأمر، دفع القائمين في مؤسسة هائل سعيد أنعم لتحفيظ القرآن (غير حكومية)، إلى ترشيحي لتمثيل اليمن مع شقيقي يوسف في المسابقة العالمية لتلاوة القرآن الكريم التي اقيمت في ماليزيا صيف عام 2013 وكنت ضمن أفضل 10 قراء".

العمل الإذاعي

مع إشراقة كل صباح، تلملم الأغبري أوراقها وتحزم حقيبتها، وهي في طريقها تجاه إذاعة (وطني) في مدينتها "تعز".

وتقول: "تقديمي لنشرات الأخبار والبرامج الإذاعية المدرسية، حبب إلي العمل في المجال الإعلامي الإذاعي، بعد أن وجدت تشجيعًا كبيرًا من زميلاتي وأساتذتي في الجامعة".

وتضيف: "كنت أسأل نفسي مع كل خلوة، كيف استطيع الجمع بين عملي كمعلمة للقرآن في أحد مدارس تحفيظ القرآن والمداومة على قراءته حتى لا أنسى ما حفظته، وبين العمل في المجال الإعلامي الذي يحتاج إلى تفرغ وتنقلات من مكان إلى آخر".

وتتابع: "لم يدم تفكيري طويلًا وقررت خوض التجربة متكئة على عزيمتي وإرادتي في تحقيق النجاح والجمع بين الحسنيين وبتشجيع من أهلي وأقاربي، وهو ما تحقق لي لاحقًا".

وتوضح: "كانت البداية في قناة (يمن شباب) الفضائية، من خلال عمل تقارير عن الأطفال في بلادي تحت عنوان الشروق المعتم، تناولت فيه جزء مهم من حياة الطفولة، لاسيما ما يتعرضون له من انتهاكات في ظل ظروف الحرب".

وتلفت: "لكن فكرة العمل الإذاعي كانت مسيطرة على تفكيري أكثر من التلفزيون، فتقدمت إلى إذاعة وطني (محلية)، واجتزت الاختبارات المعتادة وتم قبولي للعمل".

وتتابع: "في إذاعة وطني قدمت العديد من البرامج منها (في ظلال القرآن) و (قطاف الأصيل) وهو برنامج جماهيري منوع، ثم توالت بعده الكثير من البرامج كـ (لآلىء القرآن، وقصة شهيد، ومنبرك وطني، وبراعم الوطن)، وغيرها من البرامج المرتبطة بحياة الناس وهمومهم".

ولم تتوقف طموحات فاطمة الأغبري عند حفظها لكتاب الله، وتقديمها لبرامج إذاعية مختلفة بل يتعداها الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك.

وتشدد بهذا الخصوص: ليس لطموحاتي قيود أو حواجز، فأنا شابة متفائلة وأطمح إلى تحقيق المزيد من النجاحات، ليس محليًا فحسب، بل وإقليميا وعربياً.

وتضيف: وشعاري دوماً أنه متى ما توفر للمرء رؤية وخارطة طريق واضحة يستطيع أن يبحر بسفن أمانيه إلى مرافئ النجاح وشطآن العلو.

وتختم حديثها مبتسمة: أشعر أن في يدي تأشيرة عبور لتحقيق كل ذلك طالما في العمر بقية.